

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَجُّ تَرْبِيةٌ وَنَظَامٌ

الحمدُ للهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، لِيُطَهِّرَهُمْ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا
وَالآثَامِ، وَأَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَرَضَ الْحَجَّ تَرْبِيةً لِلنُّفُوسِ وَتَهْذِيبًا,
وَتَشْوِيقًا لِرِضْوَانِهِ وَتَرْغِيبًا، وَأَشَهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مِنْ طَافَ بِالْبَيْتِ
الْحَرَامِ، وَأَدَى الشَّعَائِرَ الْعِظَامَ، وَأَعْلَنَ الْمُسَاوَاتَ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَعَلَىٰ اللَّهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ،
وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ تَكُونُوا مِنْهُ
عَلَى رَجَاءِ وَوَجْلِ، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللهُ - أَنَّ مَوَاسِيمَ الْخَيْرَاتِ تَتَرَى، فَمَا تَتَقْضِيَ شَعِيرَةُ
إِلَّا وَتَأْتِيُ أُخْرَى، فَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ كَانَتْ مَحَطَّةُ رَمَضَانَ، زَادًا لِلْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَفِي هَذِهِ
الْأَيَّامِ يَتَرَقَّبُ الْمُسْلِمُونَ مَوْسِمَ الْحَجَّ الْأَعْظَمِ، وَنُفُوسُهُمْ تَسْتَشَعِرُ مَعَانِيَ الْحَجَّ وَحِكْمَهُ
وَأَسْرَارَهُ، فَالْحَجُّ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ مَدْرَسَةٌ وَاسِعَةُ الْأَثَرِ، بِلِيْغَةُ الْعِبَرِ، تُضِيءُ إِشْرَاقَاتُهَا
التَّرْبُوَيَّةُ، وَتُتَبَّرِّعُ مَعَالِمُهَا الإِيمَانِيَّةُ، عَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَمَا مِنْ حَاجَ إِلَّا
وَتُحِيطُ بِهِ أَسْرَرُهُ تُعَايشُ اسْتِعْدَادَهُ، وَتُلْاحِظُ تَهْيُؤَهُ وَزَادَهُ، فَتَتَأَثِّرُ بِنَشَاطِهِ الإِيمَانِيِّ، وَتَتَرَبَّى
بِمَنْهَجِ الْقُرْآنِيِّ، تَتَأَثِّرُ بِهِ وَهُوَ يَشْرُعُ فِي تَهْذِيبِ سِيرَتِهِ، وَتَتَقْيِيَةِ سَرِيرَتِهِ، تَرَاهُ يَتَخلَّصُ
مِنَ التَّبَعَاتِ، وَيُؤَدِّيُ الْحُقُوقَ وَالْوَاجِبَاتِ، يَصِلُّ أَهْلَهُ وَرَحْمَهُ وَجِيرَانَهُ، وَيَبْشُرُ فِي وُجُوهِ
أَصْحَابِهِ وَإِخْرَانِهِ، وَيَتَرَوَّدُ الْحَلَالُ الطَّيِّبُ مِنَ الْمَالِ، بَعْدَ تَأْمِينِ حَاجَةِ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ، لِيَفْدَ
عَلَى اللهِ طَاهِرًا نَقِيًّا، امْتِنَالًا لِأَمْرِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٌ
وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكَرَّزُ دُوَّا فَإِنَّكُمْ خَيْرُ الْزَادِ الْنَّقْوَى
وَأَنَّقُونَ يَتَأَوَّلُ الْأَلَبَبِ﴾^(١)، إِنَّ أَجْوَاءَ الطَّهْرِ وَالنَّقَاءِ، وَأَسْكَالَ الْبَرِّ وَالْوَفَاءِ، الَّتِي نُعَايِشُهَا مَعَ
الْعَازِمِينَ عَلَى حَجَّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، تُرَبَّيُ فِينَا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، حِينَ نَتَيقَنُ أَنَّهَا قَوَاعِدُ يَجِبُ

التزاماً فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، فَإِنَّمَا لَا يَقْبُلُ إِلَّا عَمَلَ الصَّالِحِينَ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ اتِّبَاعَ أَوْأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ صَمِيمِ الإِيمَانِ، وَالْحَجُّ خَيْرٌ مِثَالٍ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، فَإِنَّ تَنَقْلَ الحُجَّاجَ بَيْنَ الْمَشَاعِرِ وَطَوَافَهُمْ حَوْلَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ، كُلُّ ذَلِكَ أَمْثَالَةٌ حَيَّةٌ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْأَنْقِيادِ لِشَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَبْولِ حُكْمِهِ سُبْحَانَهُ بِاَنْشِرَاحِ صَدْرٍ وَطُمَانِيَّةِ قَلْبٍ، وَفِي الْحَجَّ بِخُصُوصِهِ دَعَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَقَالَا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبِّعْ عَلَيْنَا إِذَا كَانَتْ أَنَّتِ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، فَهُنَاكَ حِينَ تَتَّبَعُ الْأَجْسَادُ، تَقْوَى صِلَةُ الْأَرْوَاحِ بِرَبِّ الْعِبَادِ، فِي سَفَرٍ لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِهِ الرَّفَاهِيَّةُ الْجَسَمِيَّةُ، بَلِ التَّرْبِيَّةُ الرُّوْحِيَّةُ، وَالتَّرْكِيَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ، الَّتِي يُعايشُهَا الْحَاجُ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، وَيُعايشُهَا غَيْرُ الْحَاجُ بِمُشَاهَدَاتِهِ، حِينَ تَقْلُلُ لَهُ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ مَشَاهِدُ الْحَجِيجِ فِي الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ، بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُطَامِ، يَذَكُّرُونَ اللَّهَ لَا سِوَاءٌ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ، وَيَسْكُبُونَ الْعَبَرَاتِ طَمَعًا فِي عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيَشْهَدُوا مَنْفَعَ لَهُمْ وَيَذَكُّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ﴾^(٣).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ فِي شَعَائِرِ الْحَجَّ تَرْبِيَّةً اجْتِمَاعِيَّةً تَدْعُ إِلَى مَحْوِ فَوَارِقِ الْلَّوْنِ وَالْلُّغَةِ وَالْجِنْسِ، حِينَ يَظْهُرُ الْحُجَّاجُ كُلُّهُمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، يَعِيشُونَ فِي عَرَصَاتِ الْحَجَّ لِحظَاتٍ تَنْجَسِّدُ فِيهَا مَعَانِي الْأُخْوَةِ، الَّتِي تُوَلِّفُ بَيْنَهُمْ عَلَى اخْتِلَافِ الْوَانِهِمْ وَالْسِنَتِهِمْ، لِبَاسُهُمْ إِزارٌ وَرِداءٌ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ، فَمَظْهَرُهُمْ وَاحِدٌ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى رَبِّ وَاحِدٍ. إِنَّ هَذِهِ الصُّورَةُ الْحَيَّةُ تُوحِي إِلَى النَّاسِ أَنَّ يَعِيشُوا مُتَّالِفِينَ، بَعِيدِينَ عَنْ دَوَاعِي النَّفَّاخِرِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَقْبَابِ، فَإِنَّمَا

(١) سورة المائدة / ٢٧ .

(٢) سورة البقرة / ١٢٨ .

(٣) سورة الحج / ٢٨ .

عَزَّ وَجَلَ رَدَّ أَنْسَابَ النَّاسِ وَأَجْنَاسَهُمْ إِلَى أَبْوَيْنِ اثْتَيْنِ، ﴿يَأَتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكْرٍ وَأُنَثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾^(١)، لِذَلِكَ أَمْرَ الْحَاجُّ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِإِخْرَانِهِ، مُلَازِمًا الرِّفْقَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ عَرَقَةَ إِلَى مُزْدَلَفَةَ: ((السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ)). إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ الْيَوْمَ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى اسْتِجْلَابِ هَذِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةَ، مِنْ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْمُبَارَكَةِ، فَلَا يَعْتَدِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، بَلْ يَعِيشُ الْجَمِيعُ فِي سَلَامٍ، وَمَا أَحَوَّجَ الْأُمَّةُ إِلَيْهِ إِلَّا تَقْبَسَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَجَّ؛ مَا يُخْلِصُ النُّفُوسَ مِنَ الْأَنَانِيَّةِ وَالْغُلُّ وَالْحَسَدِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرِصُوا عَلَى تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَاجْعَلُوا مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجَّ دَلِيلًا عَلَى مَبَادِئِكُمْ وَأَخْلَاقِكُمْ، وَاقْتَفُوا فِي ذَلِكَ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ؛ تُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَتَسْعَدُوا فِي آخِرَتِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَبَّ لِعِبَادِهِ الطَّيِّبَاتِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ العَنَّتُ وَالْمَشَقَّاتُ، سُبْحَانَهُ ضَرَبَ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ تَعْلِيمًا لَهُمْ وَتَقْهِيمًا، وَشَرَعَ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ إِرْشَادًا وَتَعْلِيمًا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ الْإِسْلَامِ، مُعَلِّمِ النَّاسِ الْانْضِباطَ وَالنَّظَامَ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ وَأَتَبْاعِيهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ. أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَ اللَّهِ:

الْإِسْلَامُ دِينُ نِظامٍ، يُعَلِّمُنَا فِي مَضَامِينِ شِرْعَتِهِ السَّمْحَةِ كَيْفَ نُحْسِنُ الانتِظَامَ فِي عِبَادَتِنَا وَمَعِيشَتِنَا، وَفِي جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْمُخْتَلِفةِ، فَقَدْ عَلَّمَنَا النِّظامَ فِي الْعِبَادَةِ فَقَالَ: ﴿يَبْنِيَ إَدَمَ حُذُوا زِينَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢)، وَأَرْشَدَنَا إِلَى النِّظامِ فِي الْمَشْيِ وَاحْتِرَامِ النَّاسِ فَقَالَ: ﴿وَأَقْصِدُ فِي

(١) سورة الحجرات / ١٣ .

(٢) سورة الأعراف / ٣١ .

مشيك وأغضض من صوتك^(١)، إلى غير ذلك من التعالييم السمحاء، فما بال أقوام يحسبون النظام في أمور دون غيرها؟ فيتناسى الفرد منهم الأخذ بالنظام في جوانب مهمة من حياته، أو يتغافل عن ذلك جهلاً بآثارها، وتتجاهلا بأهميتها، وإن من الأمور المستجدة والقضايا المهمة ما يقوم به المسلمون من جهود في تنظيم أمور الحج والعجاج، فإن هذا الفرض من أركان الإسلام، مما يمس الأمة في عمومها، فإذا تحرص كل دولة على تنظيم حجاجها، حرصاً على سلامتهم في سفرهم، لحين عودتهم إلى ديارهم، وممما يدخل في الانتظام أخذ التصريح بالحج قبل الذهاب، وهذا كله كي لا يختل نظام الحج، وتحذث الاختلافات على المشاعر، ويتأذى المسلمون من الزحام المفروط.

فأتقوا الله - عباد الله -، واحفظوا النظام في عبادتكم، وفي جميع شؤون حياتكم، واروا غيركم محسن دينكم، بيارك الله تعالى في مساعدكم، ويوفقكم في دينكم ودنياكم. هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المحبلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْمِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن أزواجهم أمهات المؤمنين، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وعانا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل جمعنا هذا جماعاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا مغضوماً، ولا تدع فيينا ولا معنا شقياً ولا محرضاً.

اللهم إنا نسألك الهدى والتفى والعفاف والغنى.

(١) سورة لقمان / ١٩ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًا مِنَا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِنَّا صَادِقًا حَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزَزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسَرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبْ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزَزْ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْهُ بِهِ الْحَقُّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشَيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلَّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُحِبِّ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.